

الملتقى الدولي: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية بين سياقات حرية التعبير وخطاب الكراهية 29/28 ديسمبر 2021

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر

النخبة العلمية ودورها في مواجهة الإساءة إلى المقدسات الإسلامية
"دراسة في أهمية استثمار وسائل التواصل الاجتماعي"

The scientific elite and its role in confronting the insult to Islamic
sanctities "a study on the importance of social media investment"

البشير بوقاعدة¹، كريمة بوقاعدة²

¹ جامعة محمد لمين دباغين، سطيف02، الجزائر bougaadabachir@yahoo.com

² المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، الجزائر karimabougada@93gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/04/06 تاريخ القبول: 2022/09/14 تاريخ النشر: 2022/10/01

الملخص:

نهدف من خلال هذا البحث إلى الكشف عن آليات الدفاع عن المقدّسات الإسلامية، وطرائق الحد من خطابات الكراهية في ظل ما يعرفه العالم الحديث من تطوّرات علمية وتقنية، وتروم بشكل مركّز معالجة إشكالية: طبيعة الدور الذي تضطلع به النخب العلمية في مجال الرد على الإساءة الموجهة للمقدّسات الإسلامية، وكيف يمكن استغلال وسائل التواصل الاجتماعي لتحقيق ذلك؟

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج أهمها: أنّ المقدّسات الإسلامية قد تعرضت عبر تاريخها للعديد من عمليات التخريب والإساءة من هدم المساجد، وتدنيس طهارتها، وحرق المصاحف وتمزيقها، وتؤدي النخبة العلمية دورا كبيرا في الرد على الإساءات الموجهة للمقدّسات الإسلامية بالأدلة العلمية الثابتة، والحجج المنطقية المقنعة، باستغلال ما توفّره وسائل التواصل

الاجتماعي من وقت وجهد في معرفة أصل الإساءة ومصدرها، والرد على أصحابها علنا في نقاش يستقطب مختلف الآراء، ويفضح ألعيب وأكاذيب الطرف المسيء، ومنه إظهار رد الفعل الإيجابي للمسلمين كما نصّت عليه مبادئ الإسلام في صورة حسنة؛ تسهم في التعريف بحقيقة الإسلام وأخلاقه التي حاول المسيء تشويهها.

الكلمات المفتاحية: النخبة العلمية؛ المقدّسات الإسلامية؛ وسائل التواصل الاجتماعي؛ أوجه الإساءة؛ دور النخبة.

Abstract:

Through this research, we aim to uncover the mechanisms of defending Islamic sanctities, and methods of limiting hate speech in light of the scientific and technical developments in the modern world. This research addresses the problem of: What is the role of the elite in confronting the insult to Islamic sanctities, and how can social media be used to achieve this? The research concluded with a number of results, the most important of which are: The Islamic holy sites have been subjected throughout their history to numerous sabotage and abuse, including the demolition of mosques and the burning of Qur'ans. The elite has a great role in confronting the abuses of these sanctities with solid scientific evidence and convincing logical arguments. This is by exploiting what is provided by social media, from time and effort to find out the origin and source of the offense, and to respond publicly to its owners in a debate that attracts various opinions. That is also by the uncovering offender's tricks and lies, and including showing the positive reaction of Muslims as stipulated in the principles of Islam in a good way. This contributes to the definition of the truth of Islam and its morals that the abuser tried to distort.

Keywords: Elite; Islamic Sanctities; Social Media; Abuses; the role of the elite.

مقدمة:

عرف العالم الحديث في ظل التطوّرات التكنولوجية ثورات إعلامية مختلفة، حملت في ظاهرها شعار التقارب وتوثيق العلاقات بين الشعوب، لكنها في واقعها اتخذت من مبدأ حرية التعبير الذي سنته القوانين ودافعت عنه؛ وسيلة لتوسيع الفجوة بين العوالم المختلفة لاستهدافها أكثر النقاط حساسية؛ والتي ترتبط بالهوية والدين، وما شهده ويشهده العالم الإسلامي من ضرب في مقدّساته، وإظهار صورته للعالم على غير حقيقتها لخير مثال واضح عن تلك التجاوزات؛ التي كانت بمثابة الدافع القوي لتعزيز خطابات الكراهية تحت مسمى حرية التعبير.

وإذ لم يكن للمسلمين قديما وعي بحقيقة زيف أسباب الإساءات المتكرّرة لمقدّسات الإسلام، وتبريرات أصحابها الكاذبة، فإنّهم اليوم على علم تام بأصولها وأهدافها، بفعل تطور وسائل الاتصال الحديثة، وبروز فئات النخب العلمية التي من أولى واجباتها حماية الإسلام ومقدّساته؛ ورد الإساءة عنها بقوة العلم والعقل، لذا جاء هذا البحث هادفا للكشف عن آليات الدفاع عن المقدّسات الإسلامية، وطرائق الحد من خطابات الكراهية في ظل ما يعرفه العالم الحديث من تطوّرات علمية وتقنية، لمعالجة إشكالية مفادها: ما هو دور النخبة العلمية في الرد على الإساءة الموجهة للمقدّسات الإسلامية، وكيف يمكن استغلال وسائل التواصل الاجتماعي لتحقيق ذلك؟

1. الحقل المفاهيمي للدراسة:

1.1 النخبة العلمية:

تحدّد مفاهيم النخبة في ضوء ما أفادت به الدراسة الحديثة، بأنّها: فئة اجتماعية متميزة عن باقي العناصر المجتمعية من حيث التكوين الثقافي والفكري، والمكانة الاجتماعية، ومن مكوناتها: رجال العلم والفكر، والسياسة، وحملة الشهادات، ورجال الدين. و"قد تكون النخبة مزيجا من كل هذه الشرائح الاجتماعية مجتمعة"¹، أو بمعنى آخر هي مجموعة منفردة تتميز "بخصائص نفسية واجتماعية تبوئها مراكز الطليعة في مجالات اجتماعية واقتصادية وفنية معينة"²، تسهم في رقي المجتمع وازدهاره وتوجيه أفراده وتوعيتهم. أي أنّ هذه الميزات والخصائص تمكن هذه النخب

"من التأثير في الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية في مختلف حقول المجتمع وأنساقه"³. كما تؤولها هذه المقومات لقيادة المجتمع وتوجيهه "بطريقة تبدو بمظهرها شرعية وفي جوهرها قسرية أو تعسفية، وغالبا لا يقتصر تكوين النخبة على امتياز واحد دون غيره"⁴.

تتميّز النخبة بجملة من الخصائص؛ مع أنّه من الصعب تحديدها بدقة لاختلاف توجهات كل فئة، داخل إطارها الزماني والمكاني؛ فكل نخبة تتميّز بخصائص فكرية وعقلية ومهارتية وإبداعية تتباين بفضلها عن غيرها من العناصر المجتمعية، تكون مقوما هاما يؤهلها للاضطلاع بأدوار ريادية في المجتمع. ويذكر أهل الدراسة الحديثة بأن السمات المطلوبة لارتقاء الأفراد إلى مستوى النخب تختلف لآخر تبعاً للتطور التاريخي، ففي بعض المجتمعات القديمة حسبما يذهب إليه أحد الباحثين "كان عنصر القوة الجسدية والشجاعة والقدرة على امتلاك فنون القتال، والحرب هي السمات التي كانت تتميز بها الخاصة والنخب"⁵ وينبها هذا الباحث إلى أمثلة تاريخية، حيث بي بأنه من الطبيعي أنّ "الكهنة ورجال الدين الذين احتلوا دائما مكان الخطوة والاهتمام في هذه المجتمعات نظرا لقدرتهم المزعومة على مواجهة الأرواح الشريرة والتواصل مع الآلهة، ففي القبائل العربية القديمة كانت النخبة تتكون من الشعراء والفرسان ولكل قبيلة شاعرها وفارسها، ومن الطبيعي أن يتميز رجال النخبة بسمات جسدية كالشجاعة والقوة أو بخصائص معرفية مثل الكهانة والعرافة، وفي المجتمعات الحديثة ومع تطور أوجه الحياة فيها ظهرت السمات والخصائص المعرفية والعلمية والثقافية والإدارية"⁶، والتمكّن من التكنولوجيا، واكتساب آليات الحوار والنقاش والتأثير في الآخر.

ومن أهم المميزات التي تمكّن الأفراد من الانتماء لمجموعة النخبة ما يلي⁷:

أ/ التميز: ينظر أصحاب الاتجاه السيكولوجي في تناول "النخبة" و منهم "باريتو" الى أفراد النخبة بعدّهم عناصر يشكلون فئة تتوفر فيها مميزات النبوغ، والتفوق والذكاء، والقدرة على القيادة، والتميز على الآخرين في النشاطات التي يشرفون عليها، وحسب نظرهم فإن هذه المميزات الذاتية هي التي تجعلهم في صدارة الطبقات الاجتماعية.

ب/ التنظيم: من بين مميزات النخبة حسب أنصار الاتجاه التنظيمي في دراسة النخبة والذين نجد من بين "هم موسكا" وتلميذه "متشلز" اعتقادهم؛ بأن أية مجموعة لا يمكنها الوصول الى

مصاف الفئة النخبوية إلا إذا توفرت فيهم القوة التنظيمية، وتقديرها الدقيق لمصادر السلطة ومراكز القوة في المجتمع، وتعد هذه الميزة من بين أهم الميزات التي تختصّ بها النخب الحالية خاصة في عهد العولمة المبنية على المصالح والتحالفات.

ج/ الاحتكار: تسعى النخب إلى احتكار رؤوس الأموال المتوفرة لديها سواء أكانت رؤوس أموال اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو رمزية... الخ، لأنها تشكل عامل قوة بيدها، وفي حالة ما إذا لم تتوفر لديها رؤوس الأموال هذه، ستسعى للحصول عليها بكل الطرق المتاحة.

د/ الدوران: إن البشر هم صانعو التاريخ عبر ملاحظتهم وإنجازاتهم وإخفاقاتهم وأخطائهم، وهكذا فإنه كما يمكن للأفراد الانتقال من طبقة إلى أخرى عبر ما اصطُح عليه علماء الاجتماع "بالحرك الاجتماعي" فكذلك الأمر بالنسبة للنخبة، حيث أنه يمكن للأفراد أن يدوروا بين نخبة واحدة، أو بمقتضى عملية تحتل فيها نخبة معينة مكان نخبة أخرى، كما يمكن لأفراد من الطبقات الفقيرة أو المتوسطة الوصول إلى مستوى الطبقات الحاكمة خاصة في مجال السياسة.

ومنه فالنخبة العلمية هي جماعة من العلماء المختصين الذين يتميّزون بصفات ومؤهلات تختلف عن الأفراد العاديين علمياً وأخلاقياً وفكرياً، لهم أدوار توجيهية وقيادية في مجالات علمية مختلفة، ولهم دور مهم في تكوين واستقرار المجتمع، يصنعون القرار ويؤثرون في توجه أفراد المجتمع.

2.1 المقدّسات الإسلامية:

جاء في اللسان "التَّقْدِيس: التطهير والتبريك، وتقدّس أي تطهّر (...)، المقدّسة المطهّرة (...). ويقال أرض مقدّسة أي مباركة"⁸، ومنه فالمقدّس هو المبارك والمطهّر، والقدااسة كلمة تطلق على الخاص من الأشياء الدنيوية "فتتخذ بذلك شكلاً مغايراً لما في عالمنا المحسوس، إنّها القوة الخارقة اللامتناهية، إنّها الإيمان أو التقوى الديني اتجاه ما نعتقده ذو قوة مطلقة، والذي يتجاوز حدود عالمنا الحمي"⁹. وهي كلمة لا تختصّ بديانة سماوية دون أخرى؛ بل هي ترتبط بكل مطهّر ومقدّس في أي ديانة شرعها الله تعالى كالإسلام، والنصرانية، واليهودية.

ففي الديانة الإسلامية يعدّ الإسلام "من الديانات السماوية التي تقوم على شرائع وقوانين دينية تضبط وتحدّد علاقة الفرد بالمقدس، وتتجلى خصائص نظامه الديني فيما يعتقد أنه أفراد اتجاه المقدّسات وما يؤدونه من شعائر وطقوس دينية، حيث تجعل هذه الطقوس الدينية المقدّس حيا في المجتمع، متوارثا عبر الأجيال"¹⁰؛ فالمقدّس يتحدّد انطلاقا ممّا يفرضه الدين الإسلامي من شعائر تُتبع، وأماكن مطهّرة تتمّ فيها تلك الشعائر، وفقا لما أنزله الله تعالى وسنّه وشرّعه.

ومنه يمكن تعريف المقدّسات الإسلامية على أنّها كل مطهّر ومبارك مما عظم شأنه عند المسلمين، وورد تقديسه في شرع الله تعالى، وهي جزء من عقيدة ودين الإسلام، ومنها القرآن الكريم وبيوت الله وعلى رأسها المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى؛ وهي أماكن تعبّد المسلمين وقيامهم بشعائرهم الدينية.

1. 3 وسائل التواصل الاجتماعي:

هي عبارة عن "منصات على الأنترنت أو الهاتف المحمول تتيح التفاعل الثنائي الاتجاه عبر محتويات ينتجها المستخدمون أنفسهم، فضلا عن التواصل بين المستخدمين، ومن ثم فمواقع التواصل الاجتماعي ليست كوسائل الإعلام التي لا تخرج إلا من مصدر واحد أو من موقع شبكي ثابت، وأيّما هي وسائل للتواصل عبر منصات صممت خصيصا لتتيح للمستخدمين إيجاد (إنتاج) المحتويات بأنفسهم والتفاعل مع المعلومات ومع مصادرها"¹¹. ومن أهم هذه الوسائل الفيس بوك، التويتر، الأنستاغرام، البريد الإلكتروني، اليوتيوب. وتتميّز وسائل التواصل الاجتماعي عن غيرها من المنصات على الأنترنت بسمات تتحدّد من خلال الهدف من استخدامها، وطريقة عملها، ويتجلى ذلك في النقاط الآتية¹²:

- إنّ هدف المواقع الاجتماعية خلق جو من التواصل في مجتمع افتراضي تقني يجمع مجموعة من الأشخاص من مناطق ودول مختلفة على موقع واحد، تختلف وجهاتهم ومستوياتهم وألوانهم، وتتفق لغتهم التقنية.

- إنَّ الاجتماع يكون على وحدة الهدف سواء التعارف أو التعاون أو التشاور، أو مجرد الترفيه فقط وتكوين علاقات جديدة، أو حب للاستطلاع والاكتشاف.

- إنَّ الشخص في هذا المجتمع عضو فاعل، أي أنه يرسل ويستقبل ويقرأ ويكتب ويشارك، ويسمع ويتحدث، فدوره هنا تجاوز الدور السلبي من الاستماع والاطلاع فقط، ودور صاحب الموقع في هذه الشبكات دور الرقيب فقط، أي الاطلاع ومحاولة توجيه الموقع للتواصل الإيجابي.

2. نماذج من الإساءة الغربية للمقدّسات الدينية الإسلامية:

عمل الإسلام على حماية المقدّسات الدينية بمختلف منابعتها؛ منذ بداية الدعوة الإسلامية إلى الآن، فقد ورث المسلمون عن النبي صلى الله عليه وسلم مبادئ السماحة والتعايش واحترام مقدسات الديانات الأخرى؛ كما دعا لها الدين الإسلامي السميع "فقد عاش في عالم الإسلام وحضارته المجوس والبوذيين والصابئة والهندوس، وكل ألوان الطيف الديني -مع أهل الديانات السماوية- يتعبدون في معابدهم التي احترمتها وصانها وقَدّسها الإسلام والمسلمون"¹³. ومن أمثلة احترام الإسلام والمسلمين لهذه المقدّسات أنه "عندما فتح المسلمون مصر -بقيادة الصحابي الجليل عمرو بن العاص (574-664م)- لم يقف الفتح الإسلامي -فقط- عند تحرير الأرض من الاستعمار الروماني البيزنطي، وإنما امتد هذا التحرير إلى حيث حرر المسلمون أيضا كنائس النصرانية -المصرية- الأرثوذكسية، التي كانت مغتصبة من قبل الرومان -ومذهبهم الملكاني- حرر المسلمون هذه الكنائس، لا ليحولوها مساجد إسلامية، وإنما ليعيدها إلى أقباط مصر يمارسون فيها عباداتهم النصرانية"¹⁴، فلا تجد مسلما واعيا بدينه يتعدى على قدسية ديانة أخرى أو يدنسها سواء بالفعل أم بالقول، في حين نجد أنّ المقدسات الإسلامية قد تعرضت لكثير من التدنيس والتعدي والتخريب من قبل أصحاب الديانات الأخرى.

وكثيرة هي الأمثلة حول تدنيس طهارة المقدسات الإسلامية والتعدي على حرمتها؛ "فنابليون بونابارت (1769-1821) إبان غزوته لمصر (1213هـ-1798م) اقتحمت جيوشه الجامع الأزهر الشريف، وهو واحد من أعرق المساجد والجامعات في العالم الإسلامي، والذي أطلق

عليه المسلمون -عبر تاريخهم- وصف الشريف- فعانت جيوش الغزوة الفرنسية في حرم الأزهر فسادا، حتى لقد ارتكبوا فيه جرائم القتل والنهب والسرقة وتمزيق المصاحف الشريفة وكتب الحديث النبوي الشريف¹⁵، بل عمدوا إلى تدنيس أرضيته وجدرانها بما يتعد عن كل معاني الطهارة، فشرّبوا فيه الخمر وسكروا وعاثوا فيه فسادا.

ولعل ما قامت به قوات الاحتلال الفرنسي بعد احتلالها للجزائر سنة 1830 من جرائم في حق المقدّسات الإسلامية؛ لخير كاشف عن مدى تركيز هذا المحتل على الإساءة للمقدّسات الإسلامية في مسعى منه لضرب الجزائري في هويته الثقافية، وسلخه عن شخصيته الإسلامية، والمشاهد الكاشفة لذلك متلونة متعدّدة يصعب حصرها في هذه المحطة من البحث، ولعلّ أبرزها ما عمدت إليه من: تحويل المساجد إلى اصطبلات، ومخازن للسلاح، وثكنات عسكرية، أو إلى كنائس للعبادة المسيحية، ومنها ما هُدم تماما ومُحيت كل آثاره الإسلامية ومعالمه، وقد بدأت هذه العملية مذ وطأت قدم المحتلّ الفرنسي أرض الجزائر؛ إذ يذكر أبو القاسم سعد الله في كتابه (تاريخ الجزائر الثقافي) أنّ أول مسجد وقع عليه الاعتداء بالهدم الكامل هو جامع السيدة وكان ذلك سنة 1830، ثم تلاه توزيع المساجد على الجيش لربط خيوله، ووضع عتاده ومراقده ومستشفياته، ثم بدأ تحويل بعض المساجد إلى كنائس، وإلى إقامات للجمعيات الدينية الفرنسية¹⁶، حيث اعتمدت السياسة الفرنسية كل الأساليب الممكنة للقضاء على هوية الدين الإسلامي، وطمس معالمه، ومحو آثاره من قلوب الجزائريين.

وقد كان عدد المساجد في العاصمة كما ذكر أبو القاسم سعد الله "عند الاحتلال 122 مسجدا بين صغير وكبير (13 جامعا كبيرا بالمنطق الفرنسي)، بعضها يرجع إلى قرون خلت (القرن 7هـ)، وبعضها يرجع إلى آخر العهد العثماني، ومن هذه المساجد ما كان قائما يؤدي مهمته وله أوقافه منذ القرن 16م، وجاء وصفه في كتب الرحالة والمعاصرين أمثال ليون الأفريقي وهايديو الإسباني¹⁷، إلا أنّ هذه المساجد العريقة لم يبق منها بعد الاحتلال إلا بعض المساجد التي لم تتمكّن السلطات الفرنسية من هدمها، أو تحويلها إلى منشآت أخرى مخافة ثورة أهل الإسلام، وردود فعل الجزائريين الواعين بحقيقة مساعي السياسة الفرنسية، ولولا ذلك لكانت المساجد

الإسلامية العريقة في الجزائر العاصمة جميعها قد هدمت أو حولت إلى فنادق وحدائق واصطبلات
وثكنات وصيدليات...

وفي القسم الشرقي من جسم العالم الاسلامي نجد القدس التي جعلها الإسلام حرماً آمناً
لكل أصحاب الديانات، ولجميع المقدّسات، يعذب بمعاملها الصليبيون بعد احتلالها سنة 492هـ/
1099م، حيث أبادوا كل من وجدوه فيها من المسلمين -ومن اليهود أيضاً- أبادوا سبعين ألفاً،
في مجزرة وحشية ورهيبة استمرت سبعة أيام (...). فقد اقتحم الصليبيون مسجد قبة الصخرة وذبحوا
جميع من فيه، حتى تحوّل المسجد إلى بحيرة متموجة من الدماء، سبحت فيها خيول الصليبيين إلى
لجم الخيل (...). ولم يكتف الصليبيون بهذا الذي صنعوا، وإتّما قاموا باحتكار القدس لهم، دون كل
أصحاب الديانات والمقدسات، فحولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة لاتينية، وجعلوا جزءاً منه
اصطبلًا للخيول¹⁸، فكيف لموطن مهد الديانات أن يحتكر ويدنس بتلك الطريقة الوحشية التي لا
تمت بصلّة لأيّ مبدأ من مبادئ الأخلاق التي دعت إليها مختلف الديانات السماوية.

ومع مطلع القرن الواحد والعشرون، قام الجيش الأمريكي إبان الهجمة البربرية الأمريكية على
مدينة (الفالوجة) العراقية -في أكتوبر- نوفمبر سنة 2004- بتدمير أغلب مساجد الفالوجة -
أربعين مسجداً من سبعين- (...) وبالإضافة إلى ما طال مساجد الفالوجة من تدمير وإساءة،
كان الاقتحام والتدنيس لمقر الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بمدينة النجف، والعدوان
على مسجد الإمام أبي حنيفة النعمان (80-150هـ / 699-767م) -ببغداد- وغيرها من
المقدّسات الكبرى والشهيرة والتاريخية في العراق¹⁹. كما قد "نشرت النيوزويك الأمريكية -في 9
مايو سنة 2005م- أبناء وضع المحققين الأمريكيين -في معتقل (جوانتانامو)- نسخ المصحف
الشريف في المراحيض؛ كجزء من التعذيب للمعتقلين المسلمين هناك، "فتفوقوا" على فعلة جنود
بونابارت في الأزهر الشريف"²⁰؛ فهم لم يكتفوا بتدنيس الأماكن المقدسة والمطهّرة في الإسلام، بل
تجاوزوا ذلك إلى تدنيس قدسية كتاب الله (القرآن الكريم) وطهارته، دون أن ننسى محاولاتهم
المتكرّرة للنيل من شخص النبي صلى الله عليه وسلم بكل الوسائل الممكنة.

3. دوافع الإساءة الغربية للمقدسات الإسلامية:

لعل من أهمّ دوافع إساءة الدول الأجنبية للإسلام الخوف من الإسلام في حد ذاته؛ باعتباره في منظورهم العدو الأول في طريق تقدّم هذه الدول سياسيا، ودينيا، وفكريا، وعقبة كؤود تحول دول ملامستهم غاية الهيمنة والسيطرة، لذا حاولت ولا تزال تحاول طمس معالمه، وتدني مقدّساته وضرب مقوماته لتحقيق تلك الغاية وتحصيل المرامي. ومن أبرز ما يمكن أن نلحقه بصفّ هذا الدافع ما نوردته في النقاط البحثية الموالية²¹:

- قدرة الإسلام العجيبة على الانتشار والامتداد، فالغريبيون يعترفون مع شيء من الحيرة والدهشة، بأنّه فعلا هناك ما يخيف في الإسلام كدين كاسح له قابلية التنامي والانتشار بسرعة مذهلة.

- إقبال الغربيين على اعتناق الإسلام بكثافة، وبكل تلقائية وطواعية واقتناع، مما يدفع إلى التخوّف من احتمال تناقص أتباع المسيحية لمصلحة الإسلام.

- تزايد أعداد العرب والمسلمين وأبنائهم وأحفادهم في البلدان الغربية، ودخول نخبة منهم تحت قبة البرلمان الغربية، ممّا يدعو الغربيين إلى التوجّس من احتمال بروز دور قوي للجاليات العربية والإسلامية في القرارات السياسية للدول المضيفة.

ومن دوافع ذلك أيضا نجد:

- نشاط الحركات الصليبية والمتطرّفة؛ المعادية لكل ما هو إسلامي.
- التعصب الديني الغربي.
- الإيمان المطلق بفكرة أنّ اليهود هم شعب الله المختار؛ ومنه رفض الإسلام والمسلمين.
- النشاط السياسي والاقتصادي الغربي في مسعاها للهيمنة باستهدافه لجوانب الدين، والفكر والهوية.

4. دور وسائل التواصل الاجتماعي في نشر الوعي بأهمية المقدّسات الإسلامية ورد

الإساءة عنها:

يعدّ الفيس بوك من أكثر المواقع التواصلية التي تحظى بإقبال عالمي كبير وارتداد واسع المجال، ومنه يمكن اعتماده كوسيلة التعريف بحقيقة الإسلام وقداسته ومبادئه وسمو تعاليمه ولما لا نشره واستقطاب من كان على غير ملته لانتحاله والدخول فيه؛ وذلك بفتح صفحات وتشكيل مجموعات دعوية تعرّف بأساسيات الدين، وأخلاقه، وتحبّب الآخر فيه، والرد على من يسيء إلى الإسلام والمسلمين، كما يمكن اعتماد مقاطع الفيديو ضمن موقع اليوتيوب لتوضيح قيمة المقدّسات الإسلامية والتعريف بها، وردّ الإساءة عنها صوتا وصورة، ويمكن من خلال البريد الإلكتروني والتويتر؛ الدعوة إلى الاتصاف بأخلاق الإسلام والاهتداء بهديه والتحلي بقيمه النبيلة وفضائله السامية، وإعطاء صورة واضحة عن مقدّسات الإسلام وشعائره عبر إرسال رسائل، أو مقاطع فيديو أو صور توضح ذلك، لاستشعار مدى مكانتها في قلب المسلم وقديستها في مخياله وأهميتها في مادّة تدبّته.

كما يمكن لوسائل التواصل الاجتماعي أن تؤدي دورها في هذا المجال من خلال:

- الإسهام في توعية المتطرّفين (أعداء الإسلام) والمتعصبين لإيديولوجيتهم، وإطلاعهم على صورة الإسلام الصحيحة الناصعة، وتطهيرها من الشوائب التي ألحقها به بعض بني جلدته بسوء تصرفاتهم وانحرافهم عن منهجه القويم، أو من طرف أعدائه الذين نسبوا إليه ما هو منه براء وراموا تدنيسه بما ليس منه حتى يلامسوا مآربهم من خلال الطعن فيه وفي أهله.
- اختزال الوقت والجهد في معرفة أصل المسيء، وطبيعة إساءته للمقدّسات الإسلامية، مع سرعة الرد والاستجابة، فهي بمثابة نافذة تطل على مختلف العوالم، فتسهم في المراقبة، والإخطار، والتوعية، والتشهير بالمسيء وإساءته.

- إظهار السبل المثلى، والطرائق الكفيلة لرد الفعل الإيجابي من طرف المسلمين أثناء الإساءة لمقدّساتهم، ذلك أنّ رد الإساءة بالإساءة يؤدي إلى تعميق جرح الأزمة، فضلا عن كونه بعيد عن شيم المسلمين، ولا يمت بصلّة إلى الأدوية التي اقترحتها الإسلام لمعالجة مثل هذه القضايا.

- أنّها وسيلة لرأب الصدع والتئام الجروح التي ينتجها خطاب الكراهية الناتج عن الفئات المتطرّفة والمتعصّبة.

- الإسهام في التعريف بالثقافة الإسلامية والحدّ من التعصب الديني.

وعموما يمكن اعتماد وسائل التواصل الاجتماعي كافة في نشر الإسلام وتصحيح صورته التي شوّهها الغرب الأجنبي وذلك من خلال "نشر العقيدة الصحيحة وتعاليم الإسلام ومبادئه، ودفع التهم الملحقة بالإسلام وأهله لما تملكه من إمكانيات، وما تتمتع به من قبول لدى الشريحة العظمى من شعوب العالم الشرقي منها والغربي أيضا، بالإضافة إلى أنّها أتاحت للمربين والموجهين والدعاة وطلاب العلم التواصل مع أبناء العالم الإسلامي وبذل الخير وتعاهد المشاريع الدعوية والتنمية، ونشر العلم النافع، ورفع الجهل عنهم، كما أنّها وسيلة فعالة وجيدة في توعية الشباب ومحاربة الأفكار الدخيلة"²². ومنه تكون هذه الوسائل سبيلا لنشر الدين الإسلامي، وتصحيح الصورة الخاطئة التي يراه عليها غير المسلمين، والتعريف بمبادئه، وسماحته، والدفاع عنه وعن مقدساته التي يتمّ تشويهها بغير حق من حين لآخر.

5. موقع النخبة العلمية في معركة الرد على المسيئين للمقدّسات الإسلامية "وسائل

التواصل الاجتماعي أحد الوسائط الفاعلة":

يمكن أن تقوم النخبة العلمية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي والاعلام بإظهار صورة الإسلام الحقيقية، ومحو الصورة التي يحملها الغرب في أذهانهم ويعبّرون عنها في إعلامهم، وذلك من خلال²³:

- توضيح وشرح تعاليم الإسلام بمختلف اللّغات، وتبيين كونه دين رحمة للعالم أجمع.

- ترجمة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف أنّ حياته التي عاشها هي خير دليل على نبوته وصدق رسالته.

- كشف الأباطيل التي يروج لها الإعلام الغربي وفضح أسبابها.

- بيان حقيقة أنّ الإسلام ينهي عن العنف والتطرف وإراقة الدماء، وإزهاق الأرواح.

- عرض الصفحات المشرفة من تاريخ الدولة الإسلامية وتعاملها مع الشعوب بالمساواة، والعدل، ومقارنة ذلك مع الانتهاكات الجسيمة للدول الغربية في احتلالها لدول العالم.

إضافة إلى:

- تنظيم مؤتمرات وندوات تعرّف بالإسلام وأخلاقه.

- إقامة مناقشات ومناظرات مع شخصيات علمية غير إسلامية؛ لإثبات صحة ما جاء به الإسلام، والرد على الإساءات الموجهة له بالأدلة العلمية الثابتة، والحجج المنطقية المقنعة، إذ يمكن لهذه المناظرات أن تنتشر على نطاق واسع، وبسرعة كبيرة بفعل تقنيات التواصل الحديثة.

- القيام بحملات تحسيسية إلكترونية تستقطب أكبر عدد من المسلمين لمناهضة الإعلام العربي لتوجيه قلمه للدفاع عن الإسلام والمسلمين في كل بقاع الأرض.

- توضيح مدى أهمية المقدّسات الإسلامية بالنسبة للمسلمين، وتبيين مدى الارتباط الروحي للمسلمين بهذه المقدّسات.

- نشر مختلف الأعمال الوحشية والتخريبية التي قام بها الغرب المسيطر لتدنيس مقدّسات الدين الإسلامي دون مبرر ولا حاجة دعت لذلك، مع مقارنة تلك الأفعال مع سماحة الإسلام في تعامله مع مقدّسات الديانات الأخرى واحترامه لها، ولقدسيّتها عند أهلها.

وكل ذلك يكون بالنقاش والحوار المبني على الأدلة العقلية والعلمية.

1- نماذج من صفحات على الفيس بوك لنشر صورة الإسلام الصحيحة والدفاع عنه:

أ- صفحة مُجَدِّنا: صفحة هادفة تعرض مقالات ومقاطع فيديو؛ تتحدث عن سماحة وأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحاول ردّ الإساءة عنه، عرّف بها أصحابها بقولهم: (في ظل ما يواجهه الإسلام والمسلمون من إساءات، وما يواجهه المسلمون في الغرب من تحديات تهدف إلى تضيق حرية ممارسة عقائدهم الدينية، والمساس بهويتهم الإسلامية، وبناءً على المسؤولية الملقاة على عاتقنا كشباب يحمل بوصلة التغيير في يده؛ عزمنا نحن طلبة من الجامعة الأردنية ضمن مبادرة لمادة الأخلاق والقيم الإنسانية أن نقيم هذه المبادرة التي نهدف فيها إلى رد الإساءة عن ديننا ونبينا ﷺ، وتسليط الضوء على قضايا المسلمين في الغرب والسيطرة على الإشاعات التي نسبت كذباً لديننا ونبينا ﷺ).

ب- صفحة رد الشبهات عن الإسلام: تهتم هذه الصفحة كما قال عنها أصحابها (بنشر الصورة الناصعة للإسلام المحمدي الحقيقي الذي يتسم بالتسامح ونبذ العنف والطائفية والإرهاب ونشر روح التعاون ورفض الذل)، تعرض صوراً ومعلومات عن الدين الإسلامي، من بين أهداف الصفحة كما ورد في أحد منشوراتها (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنّ هناك هجمات عنيفة وحادة لتشويه صورة الدين الإسلامي من قبل الاستكبار الغربي والذين في أنفسهم عقدة التجمع الإسلامي، والوحدة الإسلامية لأسباب خاصة شخصية أو أسباب تأمرية على المشروع الإلهي، ونحن هنا بصدد رد ما مكنا الله عليه من هذه الشبهات المشؤومة لبيان صورة الإسلام الحقيقية والنقية والرحيمة، وليست الصورة الإرهابية أو التكفيرية أو الإقصائية، ونحاول تقريب وجهات النظر بين المسلمين والوقوف على نقاط الالتقاء، والبحث في نقاط الاختلاف بعيداً عن السب والشتم من دون دليل والله المستعان).

ج- صفحة الإسلام دين الحق: الرد على الشبهات حول الإسلام: جاء في التعريف بالصفحة أنّها صفحة (للرد على الشبهات حول الإسلام وكل ما يشغل بال المسلم وغير المسلم حول العقيدة الإسلامية الصحيحة)، إذ تعرض الصفحة آيات من القرآن مع تفسيرها ومقالات عن أعداء الإسلام قديماً وحديثاً، وكيفية الرد عليهم، من منشوراتها: (*زمن التمحيص* الشيخ بكر

أبو زيد المتوفى عام ١٤٢٩، قال رحمه الله في كتابه حراسة الفضيلة: * إِنَّ المراهنة على اندثار هذا الدين بشعائره العظيمة وفرائضه، بل وسننه، مراهنةٌ خاسرة... لم تفر يوماً منذ زمن أبي جهل حتى زمن أتاتورك؛ ولكنكم قومٌ تستعجلون!*

واعلم -ثبَّت اللهُ قلبك- أنَّ الإسلام لا يموت، لكنه يمر بفترات تمحيص، ينجو فيها أهل الصدق، ويسقط فيها مرضى القلوب في أحوال الانتكاسة، فاصبر واحتسب؛ فلست خيراً من بلال، ولست خيراً من سميّة، ﷺ أجمعين.

واعلم أنه ستمر بك أيامٌ عجاف، القابض فيها على دينه كالقابض على الجمر، سيحزنك الواقع، وتؤلمك المناظر، هذه المشاعر عظيمةٌ عند الله، ودليل خيرٍ وقر في قلبك، لا تنحرها بسكين الانتكاسة!

ويا أخي لا يغرنك في طريق الحق قلة السالكين، ولا يغرنك في طريق الباطل كثرة الهالكين، أنت الجماعة ولو كنت وحدك: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً } كن غريباً.. وطوبى للغرباء!

أخيراً: إعلم أنَّ خروجك من قافلة الخير لا يضر أحداً سواك! ووجودك فيها فضلٌ من الله عليك ونعمةٌ أنعم بها عليك، والخروج منها هو الخسران المبين، في ثوب مواكبة العصر والزمن الجديد!

واعلم أنَّ شريعة الله تسير غير آبهة بأسماء المتخاذلين، تسقط أسماء وتعلو أسماء: { وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم }.

ومن منشوراتها أيضاً: (الكثير منا يحزنه حال أمتنا بين الأمم ولكن مهما نحزن فينبغي أن لا ينقطع الرجاء في الله تعالى ما علينا إلا أن نتمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه مُحَمَّد ﷺ؛ فوعد الله تعالى لنا بالنصر قادم لا محالة وأكبر دليل على هذا يوم الخندق، في الخندق يحاصر الإسلام بأكمله في المدينة، تقف جيوش الأحزاب على بعد 3 كم فقط عن المدينة... حفرة صغيرة من تراب تعيق تقدمهم... في الداخل خونة من اليهود والمنافقين... ظنوا أنها آخر ليلة للإسلام

على وجه الأرض، وبعد 10 سنوات من تلك الليلة يسقط كسرى ويهرب قيصر، وينتصر الإسلام حينها، وتهمز كل أنظمة الأرض الوضعية)

د- صفحة الرد على شبهات حول الإسلام العظيم: هي صفحة للأستاذ أكرم حسن، باحث في مقارنة الأديان، يعرض فيها حوارات ونقاشات له مع غيره حول الإسلام والديانات الأخرى لرد الشبهات عن الإسلام والنبى صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة:

من خلال ما تمّ بسطه في متن هذه الورقة البحثية، كان من أبرز النتائج التي خلصنا إليها، ما نوجزه في العرض الموالي:

- تمثل المقدّسات الإسلامية جزء من عقيدة ودين الإسلام، التي حافظ ويحافظ عليها المسلمون على مرّ تاريخهم على الرغم مما تعرضت له هذه المقدّسات من تحريب، وإساءة من طرف المعادين للإسلام.

- شهد الإسلام منذ بداية الاحتلال الأجنبي للأراضي الإسلامية عدّة حملات متعصّبة -لم تحمد نيران حقدّها وغلها على الإسلام والمسلمين- حاولت طمس هويته، وتدنيس مقدّساته، مستغلة في ذلك أبشع الوسائل، وأحقر الطرائق التي لا ولن تقبلها مبادئ أي ديانة على وجه الأرض، والتي من صورها: هدم المساجد، وتحويلها إلى اصطبلات للخيول، ومراقد للجنود، وثكنات عسكرية، وكنائس مسيحية، ومحلات لشرب الخمر، إضافة إلى حرق المصاحف وتمزيقها، ودسها في المراحيض، وتشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم والتشكيك في نبوته، وحقيقة بعثه.

- تؤدي النخبة العلمية دورا كبيرا في الرد على الإساءة الموجهة للمقدّسات الإسلامية، بعدّها فئة متميّزة قادرة على صنع القرار، تمتلك خصائص تؤهلها لمنصب القيادة، والتوجيه في مختلف المجالات العلمية؛ وذلك بإقامتها لمناقشات ومناظرات علمية لإثبات صحة ما جاء به الإسلام، ولرد على الإساءات الموجهة له بالأدلة العلمية الثابتة، والحجج المنطقية المقنعة.

- تتمثل وسائل التواصل الاجتماعي أداة مثلى يمكن للنخبة العلمية اعتمادها لرد الإساءة عن المقدسات الإسلامية، والدفاع عنها؛ لما توفّره هذه الوسائل من وقت وجهد في معرفة أصل الإساءة ومصدرها، والرد على أصحابها علنا في نقاش يستقطب مختلف الآراء، ويفضح الأعياب وأكاذيب الطرف المسيء، كما تمكّن هذه الوسائل من إظهار السبل المثلى للتعريف بحقيقة الإسلام، ورد الفعل الإيجابي للمسلمين كما نصّت عليه مبادئ الإسلام في صورة حسنة؛ تسهم في الكشف عن حقيقة الإسلام التي حاول المسيء تشويهها، ومنه إعطاء دروس للفئات المتطرّفة والمتعصّبة للتوقف عن إنتاج خطابات الكراهية التي تولّد الحقد، والضغائن بين شعوب العالم دون أن تكون لذلك أسباب منطقية.

المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.
2. "أثر وسائل التواصل الاجتماعي على سلوكيات وقيم الشباب من منظور التربية الإسلامية"، مجلة كلية التربية، ع169، ج3، جامعة الأزهر، يوليو 2016م.
3. جمال الدين مُجّد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مادة (ق د س)، دار صادر، بيروت.
4. صلاح عمراوي، مقعاش يوسف، "صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام في المتغيرات الراهنة"، مجلة المقدمة، ع1.
5. عبد الله كبار، "النخبة الجامعية و المجتمع المدني في الجزائر -قراءة سوسيولوجية في جدلية الواقع والممارسة"، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد11، جوان 2013.
6. علي أسعد وطفة، في مفهوم النخبة -مقاربة بنائية، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، الإصدارات الخاصة، الإصدار الأول مايو/ إيار 2015.
7. مُجّد عمارة، هذا هو الإسلام -احترام المقدسات - خيرية الأمة- عوامل تفوق الإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2005.

8. مشري عز الدين، بلحسن مباركة، "بنية المقدّس في الإسلام وعلاقته بالاختلافات العقائدية"، مجلة التدوين، ع11، 2018.
9. هاشم أحمد تعيمش الحمامي، تشويه صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام العالمية وسبل مواجهتها، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان.
10. "وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على الأمن الفكري من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية ومعلمي العلوم الشرعية بمنطقة عسير"، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع171، ج3، ديسمبر 2016، ص39.
11. وسائل التواصل الاجتماعي، دليل علمي للهيئات المعنية بالإدارة الانتخابية، المؤسسة الدولية للديموقراطية والانتخابات، 2015.

الهوامش:

- ¹ علي أسعد وطفة، في مفهوم النخبة -مقاربة بنائية، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، الإصدارات الخاصة الإصدار الأول مايو/ إيار 2015، ص 19.
- ² عبد الله كبار، النخبة الجامعية و المجتمع المدني في الجزائر قراءة سوسيولوجية في جدلية الواقع و الممارسة"، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد 11، جوان 2013، ص 217.
- ³ علي أسعد وطفة، في مفهوم النخبة -مقاربة بنائية، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، الإصدارات الخاصة الإصدار الأول مايو/ إيار 2015، ص 19.
- ⁴ المرجع نفسه، ص 19.
- ⁵ المرجع نفسه، ص 32.
- ⁶ المرجع نفسه، ص 32.
- ⁷ عبد الله كبار، النخبة الجامعية و المجتمع المدني في الجزائر قراءة سوسيولوجية في جدلية الواقع و الممارسة، ص220.
- ⁸ جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مادة (ق د س)، دار صادر، بيروت، ص168-169.
- ⁹ مشري عز الدين، بلحسن مباركة، "بنية المقدّس في الإسلام وعلاقته بالاختلافات العقائدية"، مجلة التدوين، ع11، 2018، ص169.
- ¹⁰ المرجع نفسه، ص 170.
- ¹¹ وسائل التواصل الاجتماعي، دليل علمي للهيئات المعنية بالإدارة الانتخابية، المؤسسة الدولية للديموقراطية والانتخابات، 2015، ص 11.

- ¹² "أثر وسائل التواصل الاجتماعي على سلوكيات وقيم الشباب من منظور التربية الإسلامية"، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع169، ج3، يوليو 2016م، ص 237.
- ¹³ مُجَّد عمارة، هذا هو الإسلام -احترام المقدسات - خيرية الأمة- عوامل تفوق الإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2005، ص10.
- ¹⁴ المرجع نفسه: ص 12-13.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص 21.
- ¹⁶ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص10.
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص 11.
- ¹⁸ مُجَّد عمارة، المرجع السابق، ص16-18.
- ¹⁹ المرجع نفسه: ص 23-24.
- ²⁰ المرجع نفسه: ص 23-24.
- ²¹ صلاح عمراوي، مقعاش يوسف: صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام في المتغيرات الراهنة، مجلة المقدمة، ع1، ص 122-123.
- ²² "وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على الأمن الفكري من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية ومعلمي العلوم الشرعية بمنطقة عسير"، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع171، ج3، ديسمبر 2016، ص39.
- ²³ انظر: هاشم أحمد تميمش الحمامي، تشويه صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام العالمية وسبل مواجهتها، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، ص200.

